المرأة الأندليسية ومكانتها العلمية والثقافية

Andalusian Woman & her Cultural and literary Status

Hafiz Muhammad Asim
Research Scholar, MS shariah AIOU, Islamabad
Aasi1990@yahoo.com

ABSTRACT

The human society consists of two main pillars; male and female. A woman can play a vital role in a society if only she is brought up with care, love and justice. Islam does not only address the significance of women, but also defines her role in a society. This research is aimed to identify the role and image of women in Spanish society. This article comprehensively discussed the role and problems of Spanish woman in social, cultural and moral fields. It also highlights their participation in various literary and academics activities. The article applies descriptive and analytical method for the research.

Key words: Spanish Women, Descriptive, Cultural, Moral

المقدمة:

تعد المرأة رمزا" للعطاء والحنان، وعالمها يضج بالسحر والجمال وقد عرفت بمواقفها عبر العصور فعرفناها أما" وزوجة وكاتبة ومحاربة وفقيه وقد سمت مكانتها في العصر الأسلامي وتطورت عما كانت عليه في العصر الجاهلي، فهي التي منحها الله نعما" كثيرة لأنها رمز لديمومة الحياة وملهمة الشعراء والذين تغنوا بها منذ القدم بفضائلها التي اعانت الرجل في الحياة العامة والخاصة وبجمالها الذي كتبوا من أجله أرق العبارات وأجمل الالفاظ.

لقد مرت المرأة بظروف تختلف من عصر إلى آخر وتناوبت مكانتها حسب المجتمع الذي عاشت فيه ففي عصر ما قبل الأسلام نجد نساء عربيات اشتهرن بالكرم والشجاعة والأدب كوالدة حاتم الطائي وابنته سفانه المشهورتين بالكرم وفكيهه بنت قتادة المشهورة بالوفاء[1]. ودحنتوس ابنة لقيط بن زرارة الدرامي [2]. اشتهرت بالشجاعة وهناك من اشتهرت بالشعر كخرنق بنت أخت طرفه بن العبد لأمه.[3] وخرقاء العامرية [4].وليلى الأخيلية[5]

وكانت المرأة الحرة تتمتع بحصانه طيبة لدى الجاهلين ، فكان الرجل يعترف بأولادها، أما المرأة السبية فهي أقل منزلة ولا تتمتع بشيء من الحرية، ويرفض الآباء الحاق أبنائهن في نسبهم[7]. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه كرهم لولادة البنات وعدم احترامهم للمراة فكانوا عندما تولد لاحدهم فتاة كان يقوم بؤدها وكانها ارتكبت ذنبا" عظيما" وهي لا ذنب لها واوضح الله تعالى هذه الظاهرة بقوله ﴿ واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا" وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون﴾[8]. ولكن عندما جاء الأسلام وساوى بين الرجل والمرأة بقوله

تعالى ﴿ يا ايها الناس أتقو ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا" كثيرا" ونساء"﴾[9].

وكانت قضية المرأة اولى القضايا التي عالجها ، ورفع من شانها وقد وردت ايات كثيرة في هذا الشان كقوله تعالى ﴿ومن اياته ان خلقكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة[10] ﴾. ومنحها حق التعليم وجعل ذلك فرضا عليها في الحدود اللازمة فضلا عن الحقوق الاخرى[11].

وفي تلك الحقبة برزت اعداد كثيرة من النساء وعلى رأسهن السيدة خديجة الكبرى [12]. زوجة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم التي كانت اول من امن بالله ورسوله وساندت الرسول بنفسها ومالها والسيدة عائشة [13]ام المؤمنين رضي الله عنها التي عرفت بنشاطها الديني والسياسي والسيدة فاطمة [14] بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي اشتركت مع ابيها في فتح مكة وحجة الوداع ، وسكينة بنت الحسين رضي الله عنها الشاعرة التي اشتهرت بجمالها واناقتها وندواتها وغيرهن كثيرات[15].

والفتوحات الأسلامية في العصر الاموي ادت الى كثرة السبايا والجواري والاموال الكثيرة التي ادت الى تسرب اخلاق الاعاجم الى العرب فاقترن هذا التطور بتراجع بعض الاخلاق العربية الأسلامية الاصيلة في اغلب الاحيان[16].اثر ذلك في المرأة حيث ابعدها عن شؤون الحياة واقتصرت مهامها في تلبية حاجات البيت دون خروجها الى العمل [17].

و أما المرأة الأندلسية فكانت تتمتع بحرية اكبر من المرأة في المشرق فلم يكن طريقها شائكا" وعرا" ولا ضيقا" حرجا" ، بل كان واضحا" قويما" ، وانها تسير لغايتها في

اسعاد الاسرة واصلاح البيت وتزكية النشئ وان يسير الرجل لغايته من ولاية الامر والعمل والحروب ويلتقيان في معاهد العلم ومجامع الأدب ، حيث كانت النساء تخرجن الى المسجد الجامع في قرطبة والى سواه من معاهد العلم فتجلس في حلقات الدروس منتقبات محتشمات[18]. أي لم تكن المرأة محتجبة في منزلها بل كانت حرة طليقة[19].

وبمرور الزمن والابتعاد عن فترة فتح الأندلس وسقوط الدولة الاموية وظهور الفتن السياسية ونهوض دويلات وتشتت شمل الامة بدأت المرأة الأندلسية تنكشف وتاخذ فيما اخذ الناس فيه من لهو ونعيم وجاذبت الرجل فنون المرح وقالت ما لم يكن بقوله غيره من تغزل وتخالع وتفرق وتواصل ومناقضة ومماجنة ومناقلة ومداعبة، ولكن الاخلاق بقيت في جملتها مستمسكة في هذا الجيل من النساء ، واول من سنت للنساء سنة الانكشاف والاستخفاف ولادة بنت المستكفي بالله سليلة بيت الملك الاموي في الأندلس[21].

ولقد تميزت المرأة العربية في الأندلس بحكم طبيعة المجتمع بنشاطها الذي ساعد فيه اظهار قابليتها في العديد من النواحي العامة في الحياة ، ولو تاملنا واقعهن في الحياة للمسنا العناية الواضحة التي كان يوليها المجتمع للمراة من حيث توفير فرصة التعليم لها، فضلا عن الرعاية التي خصصها الامراء والخلفاء لهن، وتشجيعهن من خلال اغداق الاموال عليهن، وتحفيز العلماء لتعليمهن حسب الظروف المناسبة لذلك لما يمثله ذلك في نظر الدولة الاموية من رقي علمي وتمدن حضاري[22].

فكانت المرأة الأندلسية اكثر قدرة على الحركة تتعلم وتتفقه في الدين وتدرس الأدب وتنظم الشعر وتشارك في الحياة العامة فتبؤات مكانة في مجالات الحياة المختلفة وتمتعت بحرية واسعة فاصبح لها شخصيتها المستقلة[23].

فهناك العالمات في الشؤون الدينية والحافظات للقرآن ، ولا يحصى عددهن وقيل انه كان في الأندلس ستون الف حافظة للقرآن ترفع كل واحدة قنديلا" فوق باب بيتها في الليل اشارة الى ان هناك حافظة، وذلك من باب التمييز على غيرها[24].

وهناك نساء راويات للحديث ومنهن عابدة جارية وفدت من المدينة الى قرطبة روت عن مالك ابن انس وغيره من ائمة المدينة [25].

وكذلك كان للمراة الأندلسية دور سياسي فذكر ان اعتماد زوجة المعتمد بن عباد كان لها تاثيرها الكبير على حياته ولها دور بارز في الحياة العامة في اشبيلية، ومما يشهد على ذلك ما تحمله النقوش في ذكر اسمها يوم الشروع في بناء صومعة اشبيلة سنة (472 هـ) [26]

وقد اهتمت المرأة الأندلسية بالناحية العلمية ايضا" ، ومما يؤيد ذلك ان بعضهن وصفن بكونهن عالمات فقد قيل بحق فاطمة بنت يحيى بن يوسف المغامي تلك الصفة[27] وكذلك حفصة بنت حمدون[28]. والغسانية وصفت بانها كانت عالمة بالعروض[29]. والعروضية مولاة الكاتب ابي المطرف عبد الرحمن بن غلبون اخذت عنه النحو واللغة ولكنها فاقته وبرعت في العروض وحفظت الكامل للمبرد والنوادر للقالي وشرحتهما[30]. ونضار بنت الامام اثير الدين ابن حيان محمد بن يوسف الأندلسي التي كانت كاتبة وقارئة وتنظم الشعر[31].

واشتهرت مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله[32]. لما تمتعت به من جودة في الخط وفاقت غيرها [33]. وقيل عن لبني كاتبة الخليفة الحكم المستنصر بانها مهيمنه على العلم ولها معرفة بالحساب وعلم العروض. واشتهرت بعضهن في العلوم الصناعية ولا سيما الطب ومنهن اخت الحفيد بن زهر وابنتها وام الحسن كانت طبيبة الى جانب اجادتها في قراءة القرآن ومشاركاتها في الكثير من الفنون . وان نساء الخلفاء والملوك كن في غنى عن الاطباء بالطبيبات[34]. كما اسهمت المرأة الأندلسية في اقتناء الكتب العلمية حيث وجدت مكتبات خاصة لهن مما يدل على اهتمامهن بالحركة العلمية ورغبتهن الذاتية في التزود بالعلم والاطلاع على المؤلفات العلمية ، وقد عرف عن عائشة القرطبية بان لها خزانة علم كبيرة وانها كانت حسنة الخط ، وتكتب المصاحف والدفاتر وتجمع الكتب[35]. واشتهرت صفية بنت عبد الله في نقل المخطوطات[36].

وشاركت المرأة الأندلسية في الوظائف العلمية والرسمية فقد مارست مهنة المعلمة ولم يكن بوسعها ان تمارس هذه المهنة في الكتاتيب كما هو الحال بالنسبة للرجل بل مارستها داخل البيت فقد ذكر ان اخت محمد بن حزم[37]. كانت تمارس التاديب داخل الدار وكانت هي وابوها واخوها يمارسون التعليم في دار واحدة [38]. ومريم بنت ابي يعقوب الانصاري كانت تمارس تعليم النساء الأدب [39]. والى جانب اهتمام المرأة الأندلسية بالعلوم والأدب فلها باع طويل في فنون الموسيقى والغناء وكما عرفنا عندما فتح المسلمون الأندلس، توافد عليها الكثير من العلماء والرواة والشعراء فالى جانب اهتمام الخلفاء والامراء بالعلوم المختلفة كانوا يهتمون بالموسيقى والغناء وشراء الجواري والمغنيات حيث

كانت تعقد مجالس شراب للانس والطرب ، وكانت الجواري يقدمن الشراب ويغنين في هذه المجالس ومنهن طروب وقمر وانس القلوب والعجفاء وغاية المنى وغيرهن كثيرات، ويعد الحكم بن هشام من أكثر امراء بني امية عناية بالغناء وكان لديه عدد من الجواري المغنيات منهن عزيز ومهجة وفاتن، وكان هو يقترح عليهن الاشعار التي يغنين فيها، وكانت بعض النساء تنظم الشعر وتلحنه، وقد نظمت عزيز مرة هذه الابيات[40].

قـــــد نقضـــــي النهـــــار الا بقـــــايا ... مـــــن شـــــعاع مخلـــــق للاصـــــيل

واتانا الظـــــلام مـــــن قبـــــل الشـــــر ... ق فـــــاهلا منـــــه بخـــــير تزيـــــل

دام هـــــذا وذا بطـــــول بقـــــاء الـــــ ... ـحكـــــم الســـــيد الفـــــتى المـــــأمول

واذا تركنا ذلك كله وانتقلنا الى حرائر الأندلس فنجد ان لبعض الحرائر اهتمام بمجالس الانس والطرب ومن هذه المجالس مجلس ولادة بنت المستكفي فكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر، وفناؤها ملعبا" لجياد النظم والنثر، يعشو اهل الأدب الى ضوء غرتها ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، الى سهولة حجابها وكثرة منتابها تخالط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة اثواب· وذلك لتميزهن بحضور النادرة وسرعة التمثل وخفة الروح ولهن نوادر مما يدل على روحهن الفكاهية ومن نوادرهن ما روى عن نزهون القلاعي انها كانت تقول بحق الشاعر ابن قزمان

وقد راته بغفارة صفراء وكان قبيح المنظر(اصبحت كبقرة اسرائيل، ولكن لا تسر الناظرين)[42]. وهناك نساء كثيرات كانت لهن نوادر وطرائف، ومن ذلك ما روى ان بعض قضاة لوشة كانت له زوجة فاقت العلماء في معرفة الاحكام والنوازل، وكان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم اليها، فتشير عليه بما حكم به، فكتب اليه بعض اصحابة مداعبا" بقوله[43].

بلوشة قاض له زوجة واحكامها في الورى ماضية
فيا ليته لم يكن قاضيا" وياليتها كانت القاضية

فاطلع زوجة عليها فحين قراته قالت: ناولني القلم فناولها ، فكتبت بديهية [44]:

هو شيخ سوء مزدريء له شيوب عاصية
كلا لئن لم ينته لنسفعنا بالناصية

ومن هذا نرى ان المرأة الأندلسية لا تقل عن الرجل في المضمار الثقافي فكانت اهتماماتها العلمية والثقافية مبكرة بحيث اظهرت نتائجها وطرقت مجالات واسعة في العلوم والأدب.

الهوامش

[1] سعيد الأفغاني،الإسلام والمرأة ، دار الفكر، دمشق، ط:2، 1964م.ص: 102.

[2] عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والأسلام ، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط:2، 1959م، ج: 1، ص:405.

[3] أحمد بن أبي طاهر طيفور، بلاغات النساء وطرائف علامهن وملح نوادرهن ، تصحيح وشرح ، أحمد الالفي ، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، 1326ھ/1908م، ص: 203.

[4] عمر رضا كحالة، أعلام النساء، 348/1

[5] المصدر نفسه ونفس الصفحة.

[6] أحمد بن أبي طاهر طيفور، بلاغات النساء، ص:233

[7] د. أحمد محمد الحوفي،المراة في الشعر الجاهلي، دار الفكر، القاهرة ، ط:2، 1963م،ص: 85.

[8] النحل : 58.

[9] النساء: 1.

[10] الروم: 21.

[11] محمد جميل بيهم،المراة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المراة، دار النشر للجامعيين ، ط:2، 1962م، ص:16-17-18.

[12] عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، المطبعة الهاشمية، دمشق، ط:2، 1959م. 326/1.

[13] المصدر نفسه: 9/3.

[14] المصدر نفسه: 108/4.

[15] حسين عبد الجليل يوسف،. المراة في ادب العصر العباسي: مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1988م، ص: 24.

[16] يوسف حسين بكار، اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف ، مصر ، 1971.ص: 111.

[17] داود سلوم، صورة المراة في الادب العربي، بحث قدم من الحلقة الدراسية التي نظمها الاتحاد العام لنساء العراق مع جامعة السليمانية في نيسان، 1978م، ص : 12-131.

[18] عبد الله عفيفي ،المراة العربية في جاهليتها واسلامها، مطبعة المعارف ، ط:1، 1930م، 129-128/3

[19] حسان أبو رحاب، الغزل عند العرب: مطبعة مصر، القاهرة، ط1، 1366هـ/1947م.ص: 16

[21] عبد الله عفيفي ، المراة العربية في جاهليتها واسلامها، مطبعة المعارف ، ط1، 1930م، 130/3

[22] أبو عبد الله محمد بن ابي نصر فتوح ابن عبد الله الازدي الحميدي جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية، 1966، وطبعة 1952م. ص: 412-414.

[23] محمد عبد العزيز عثمان ، دور المرأة العربية في الأندلس، مجلة المؤرخ العربي، العدد(13) ، السنة 1980م، ص: 107-106

[24] محمد جميل بيهم ، المرأة في حضارة العرب والعرب في تأريخ المرأة ، دار النشر للجامعيين ، ط2، 1962م ، ص: 240

[25] المصدر نفسه، ص: 257

[26] د. حامد عبد المجيد ود. أحمد أحمد بدوي ، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، دار العلم للجميع والطباعة والنشر ، المطبعة الأميرية ، بيروت، د.ط ، د.ت.ص: 317

[27] أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي التكملة لكتاب الصلة، تحقيق د. عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج:2، ص:691

[28] أحمد بن محمد المقري التلمساني ،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الله الأزدي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ، 1949م، ج:6، ص: 22

[29] زينب بنت علي بن حسين عبيد الله بن حسن بن ابراهيم بن محمد بن يونس فواز العاملي، المطبعة الدر المنثور في طبقات ربات الخدود، الكبرى الاميرية، بولاق ، مصر، ط1، 1312هـ، ج:6، ص:22

[30] شهاب الدين بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حققه محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة المدني، د. ط ، د.ت. ج:4، ص: 167

[31] القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ج:2، ص: 654

[32] أبو عبد الله محمد الواقدي، فتوح الشام ، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1373هـ.ج:1، ص: 136

[33] القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، ج:2، ص: 653

[34] أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد رشيد ، مكتبة المثنى، بغداد ، ومؤسسه الخانجي، مصر، مطبعة المعهد العالي الفرنسي للاثار الشرقية بالقاهرة، 1955م.ج:2، ص:70

[35] محمد المنتصر الريسوني، الشعر النسوي في الأندلس، قدم له العلامة عبد الله كنون ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. الشعر والنغم ، د. رجاء عبيد ، منشورات دار الثقافة، القاهرة، 1975م.ص: 144

[36] في ظلال الأندلس ، سلمى الخفار الكزيري ، مطابع ألف باء ، الأديب ، دمشق د. ط ، د.ت.ص: 116

[37] محمد جميل بيهم ، المرأة في حضارة العرب والعرب في تأريخ المرأة ، دار النشر للجامعيين ، ط2، 1962م .ص: 239

[38] بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ، دار المكشوف ودار الثقافة، ط6، بيروت، 1968م.ص: 116

[39] عبد مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والأسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.ص: 161

[40] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1967م.ص:188

[42] د. شوقي صنيف ، المغرب في حلى المغرب ، دار المعارف ، مصر ، ط2، 1964م. ج:2، ص:288

[43] أحمد بن محمد المقري التلمساني (1041هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق ، محمد محي الدين عبد الله الأزدي ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ، 1949م.ج:5، ص:338

[44] حسن جاد حسن، محمد عبد المنعم خفاجة ، الأدب العربي في الأندلس ، المطبعة المجدية بالأزهر، ط1، د.ت.ص: 116